

مكتبة مشكاة الإسلامية

زاد المسير في علم التفسير

ابن الجوزي

سورة الشعراء

وهي مكية كلها، إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة من قوله: {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء: 224] إلى آخرها قاله ابن عباس وقتادة.

بسم الله الرحمن الرحيم

{طَمْرُ * تِلْكَ ءَايَاتُ لِكُتُبٍ لِّمُؤْمِنِينَ * لَعَلَّكَ بَخْعُ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِنْ نَشَأْ نُنزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُخَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {

قوله تعالى: {طس} قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر {طس} بفتح الطاء وإدغام النون من هجاء سين عند الميم. وقرأ حمزة والكسائي وخلف وأبان والمفضل {طس} و{طس} النمل بإمالة الطاء فيهما، وأظهر النون من هجاء سين عند الميم حمزة هاهنا وفي القصص. وفي معنى طس أربعة أقوال: أحدها: أنها حروف من كلمات، ثم فيها ثلاثة أقوال: أحدها: ما رواه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما نزلت {طس} قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الطاء طور سيناء، والسين الاسكندرية، والميم مكة.

والثاني: أن الطاء طيبة، وسين بيت، المقدس، وميم مكة، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: الطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد صلى الله عليه وسلم، قاله جعفر الصادق.

والثاني: أنه قسم، أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس: وقد بينا كيف يكون مثل هذا من أسماء الله تعالى في فاتحة مريم، وقال القرطبي: أقسم الله بطوله وسنائه وملكه.

والثالث: أنه اسم للسورة، قاله مجاهد.

والرابع: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة وأبو روق. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [المائدة: 15] [الكهف: 6] إلى قوله: {إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} والمعنى: لعلك قاتل نفسك لتركهم الإيمان.

ثم أخبر أنه لو أراد أن ينزل عليهم ما يضطرهم إلى الإيمان، لفعل فقال: {إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلُ} وقرأ أبو رزين وأبو المتوكل {إِنْ نَشَأْ يُنْزِلُ} بالياء فيهما، {عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ} جعل الفعل أولاً للأعناق، ثم جعل خاضعين للرجال، لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون. وقيل: لما وصف الأعناق بالخضوع وهو من صفات بني آدم، أخرج الفعل مخرج الأدميين، كما بينا في قوله: {وَالشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ رَايَتْهُم لِي سَاجِدِينَ} [يوسف: 4] وهذا اختيار أبي عبيدة. وقال الزجاج: قوله: {فَظَلَّتْ} {معناه: فتظل، لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل، كقولك: إن تأتي أكرمك، معناه: أكرمك، وإنما قال: {خَاضِعِينَ} لأن خضوع الأعناق هو خضوع أصحابها، وذلك أن الخضوع لما لم يكن إلا بخضوع الأعناق، جاز أن يخبر عن المضاف إليه، كما قال الشاعر:

رأت مر السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال

فلما كانت السنون لا تكون إلا بمر، أخبر عن السنين، وإن كان أضاف إليها المرور قال: وجاء في التفسير أنه يعني بالأعناق كبراءهم ورؤساءهم. وجاء في اللغة: أن أعناقهم جماعاتهم، يقال: جاءني عنق من الناس أي جماعة. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [الأنبياء: 2] إلى قوله: {أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ} يعني المكذبين بالبعث {كَمْ أَنْبَأْنَا فِيهَا} بعد أن لم يكن فيها نبات {مِّن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} قال ابن قتيبة: من كل جنس حسن. وقال الزجاج: الزوج النوع والكريم المحمود.

قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَإِبْرَاهِيمَ} تدل على وحدانية الله وقدرته، {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} أي: ما كان أكثرهم يؤمن في علم الله، {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ} المنتقم من أعدائه {الزَّكِيمُ} بأوليائه.

{وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ إِنِّي لَمَعْلَمٌ * قَوْمُ فِرْعَوْنَ لَا يَسْمَعُونَ} قال رب إني أخاف أن يكذبون * وَيَصِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَايَ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون * قَالَ كَلَّا فَإِنِّي أَسْمِعُكَ مَا لَمْ يَأْمُرُكَ بِهِ فاقْنَبْ * فَتَبَيَّنَّا إِيَّاهُ فَجَعَلْنَا فِيهِ رُسُلَنَا وَتَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْفَلَاحَ * إِنَّا أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْتَ وَهَارُونُ ابْنَاكَ إِذْ جَاءَا فِرْعَوْنَ فَجَعَلْنَا مُوسَىٰ ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ * قَالَ فَعَلْتُكَ إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنكُم لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ} قوله تعالى: {وَإِذْ نَادَىٰ} والمعنى: وائل هذه القصة على قومك.

قوله تعالى: {أَنْ يُكَذِّبُونِ} ياء {يَكْذِبُونَ} محذوفة ومثلها {أَنْ يَفْتُلُونِ} {الشعراء: 14} {سَيَهْدِينِ} {الشعراء: 62} {فَهُوَ} {الشعراء: 78} {يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ} {الشعراء: 79} {فَهُوَ يَشْفِينِ} {الشعراء: 80} {ثُمَّ يُخَيِّنِ} {الشعراء: 81} {كَذَّبُونِ} {الشعراء: 117} {وَأَطِيعُونَ} {الشعراء: 108} فهذه ثمان آيات أثبتهن في الحاليين يعقوب.

قوله تعالى: {وَيَضِيقُ صَدْرِي} أي بتكذيبهم إياي {وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي} للعقدة التي كانت بلسانه. وقرأ يعقوب {وَيَضِيقُ} {وَلَا يَنْطَلِقُ} بنصب القاف فيهما، {فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ * وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ} وهو القتل الذي وكزه فقضى عليه، والمعنى: ولهم علي دعوى ذنب {فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ} به {قَالَ كَلَّا} وهو ردع وزجر عن الإقامة على هذا الظن، والمعنى: لن يقتلوك لأنني لا أسلطهم عليك، {وَذَهَبَا} يعني: أنت وأخوك {بِئَايَاتِنَا} وهي ما أعطاهما من المعجزة، {أَنَا} يعني نفسه عز وجل {مَعَكُمْ} فأجراهما مجرى الجماعة {مُسْتَمْعُونَ} نسمع ما تقولان وما يجيبونكما به. قوله تعالى: {إِنَّا رَسُولُ رَبِّ لَعَلِّمِينَ} قال ابن قتيبة: الرسول يكون بمعنى الجميع، كقوله: {هَؤُلَاءِ ضَيَّفُوا} [الحجر: 68] وقوله: {ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً} [الحج: 5] وقال الزجاج: المعنى: إنا رسالة رب العالمين، أي: ذوو رسالة رب العالمين قال الشاعر: لقد كذب الواشون ما بحث عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول

أي برسالة. قوله تعالى: {أَنْ أَرْسِلْ} المعنى: بأن {أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ} أي أطلقهم من الاستعباد، فأتياه فبلغاه الرسالة ف {قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا} أي صبيا صغيرا {وَلَيْثَتْ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنَّينَ} وفيها ثلاثة أقوال.

أحدها: ثماني عشرة سنة، قاله ابن عباس. والثاني: أربعون سنة، قاله ابن السائب.

والثالث: ثلاثون سنة، قاله مقاتل. والمعنى: فجازيتنا على أن ربيناك أن كفرت نعمتنا وقتلت منا نفسا، وهو قوله: {وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ} وهي قتل النفس. قال الفراء: وإنما نصبت الفاء لأنها مرة واحدة، ولو أريد بها مثل الجلسة والمشية جاز كسرهما. وفي قوله: {وَأَنْتَ مِنْ الْكَافِرِينَ} قولان.

أحدهما: من الكافرين لنعمتي، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والضحاك وابن زيد.

والثاني: من الكافرين بالهك، كنت معنا على ديننا الذي تعيب، قاله الحسن والسدي، فعلى الاول وأنت من الكافرين الآن، وعلى الثاني وكنت.

وفي قوله: {وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ} ثلاثة أقوال.
أحدها: من الجاهلين، قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير
وقتادة. وقال بعض المفسرين: المعنى: إني كنت جاهلاً لم يأتني
من الله شيء.

والثاني: من الخاطئين، والمعنى: إني قتلت النفس خطأ، قاله
ابن زيد.

والثالث: من الناسين، ومثله {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا} [البقرة: 282]
قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: {فَقَرَزْتُ مِنْكُمْ} أي ذهبت من بينكم {لَمَّا خِفْتُكُمْ}
علي نفسي إلى مدين، وقرأ عاصم الجحدري والضحاك وابن يعمر
{لَمَّا} بكسر اللام وتخفيف الميم {فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا} وفيه
قولان.

أحدهما: النبوة، قاله ابن السائب.

والثاني: العلم والفهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ} يعني التربية {أَنْ عَبَدْتُ
بَنِي إِسْرَءِيلَ} أي اتخذتهم عبيداً، يقال عبدت فلانا وأعبدته
واستعبدته إذا اتخذته عبداً.

وفي أن وجهان.

أحدهما: أن تكون في موضع رفع على البدل من نعمة.

والثاني: أن تكون في موضع نصب بنزع الخافض تقديره لأن
عبدت أو لتعبيدك.

واختلف العلماء في تفسير الآية، ففسرها قوم على الإنكار وقوم
على الإقرار، فمن فسرهما على الإنكار، قال معنى الكلام أو تلك
نعمة؟ على طريق الاستفهام، ومثله {هَذَا رَبِّي} [الانعام: 76]
وقوله: {فَهُمْ لَخَالِدُونَ} [الانبيا: 34] انشدوا:
لم أنس يوم الرحيل وقفها وجفنها من دموعها شرق

وقولها والركاب سائرة تتركنا هكذا وتنطلق

وهذا قول جماعة منهم، ثم لهم في معنى الكلام ووجهه أربعة
أقوال.

أحدها: أن فرعون أخذ أموال بني إسرائيل، واستعبدتهم وأنفق
على موسى منها، فأبطل موسى النعمة، لأنها أموال بني
إسرائيل، قاله الحسن.

والثاني: أن المعنى: إنك لو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل،
لكفلني أهلي، وكانت أمي تستغني عن قذفي في اليم، فكأنك
تمن علي بما كان بلاؤك سبباً له، وهذا قول المبرد والزجاج
والأزهري.

والثالث: أن المعنى تمن علي باحسانك إلي خاصة، وتنسى إساءتك بتعبيدك بني إسرائيل، قاله مقاتل.

والرابع: أن المعنى كيف تمن علي بالتربية، وقد استعبدت قومي، ومن أهين قومه، فقد ذل، فقد حبط إحسانك إلي بتعبيدك قومي، حكاة الثعلبي.

فأما من فسرهما على الإقرار، فانه قال: عدها موسى نعمة، حيث رباه ولم يقتله، ولا استعبده. فالمعنى: هي لعمرى نعمة إذ ربيتني، ولم تستعبدني كاستعبادك بني إسرائيل، ف «أن» تدل على المحذوف، ومثله في الكلام أن تضرب بعض عبيدك وتترك الآخر، فيقول المتروك: هذه نعمة علي أن ضربت فلانا، وتركتني، ثم تحذف وتركتني، لان المعنى معروف، هذا قول الفراء.

{ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ * قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ لَيْزِلَ إِلَيْكُمُ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبِّ لِمَ شَرِقْتُ وَلِمَ مَغْرِبْتُ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ }

قوله تعالى: { قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ } سأله عن ماهية من لا ماهية له، فأجابه بما يدل عليه من مصنوعاته.

وفي قوله: إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قولان.

أحدهما: أنه خلق السماوات والأرض.

والثاني: إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ أَنْ مَا تَعَايَنُوهُ كَمَا تَعَايَنُونَهُ فَكَذَلِكَ،

فأبقنوا أن رب العالمين رب السماوات والأرض. { قَالَ } يعني

فرعون لمن حوله من أشراف قومه { أَلَا تَسْمَعُونَ } معجبا لهم.

فان قيل: فأين جوابهم؟

فالجواب: أنه أراد ألا تستمعون قول موسى؟ فرد موسى لأنه

المراد بالجواب، ثم زاد في البيان بقوله: { رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ

الْأُولِينَ }، فأعرض فرعون عن جوابه ونسبه إلى الجنون، فلم

يجفل موسى بقول فرعون، واشتغل بتأكيد الحجة ف { قَالَ رَبُّ

لِمَ شَرِقْتُ وَلِمَ مَغْرِبْتُ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } أي: إِنْ كُنْتُمْ ذَوِي

عقول، لم يخف عليكم ما أقول.

{ قَالَ لَئِنْ لَّخَذْتُ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْخُورِينَ * قَالَ أَوَلَوْ

حُتِّكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ * فَأَلْقَىٰ

عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَدُخِّنُ دُخَانًا * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ * قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ

بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَزِجُّهُ وَآخَاهُ وَبُعِثْ فِي مَدَائِنِ

حَشِيرَتِهِ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحَارٍ عَلِيمٍ * فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ

مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ

كَانُوا هُمْ الْعٰلِمِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا

إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعٰلِمِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ لِمُقَرَّرِينَ * قَالَ

لَهُمْ مُوسَى الْقَوَا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَالْقُوا حَبْلَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا
بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ
تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَحِيدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ {

قوله تعالى: { أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ } أي بأمر ظاهر تعرف به
صدقي أتسجني؟ وما بعد هذا مفسر في [الأعراف 107] إلى
قوله: { فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ } وهو يوم الزينة،
وكان عيداً لهم، وقيل للناس يعني: أهل مصر، وذهب ابن زيد إلى
أن اجتماعهم كان بالاسكندرية.

قوله تعالى: { لَعَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ } قال الاكثرون: أرادوا سحرة
فرعون، فالمعنى: لعلنا نتبعهم على أمرهم، وقال بعضهم: أرادوا
موسى وهارون، وإنما قالوا ذلك استهزاء. قال ابن جرير:
و«لعل» هاهنا بمعنى «كي». وقوله تعالى: { بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ } أي:
بعظمته.

{ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذِنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ
فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ
أَجْمَعِينَ * قَالُوا لَا صَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ
لَنَا رَبَّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ }

قوله تعالى: { فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } قال الزجاج: اللام دخلت
للتوكيد.

قوله تعالى: { لَا صَيْرَ } أي: لا ضرر. قال ابن قتيبة: هو من ضارَهُ
يَضُورُهُ وَيَضِيرُهُ، بمعنى: ضره. والمعنى: لا ضرر علينا فيما ينالنا
في الدنيا، لآنا ننقلب إلى ربنا في الآخرة مؤملين غفرانه.
قوله تعالى: { أَنْ كُنَّا } أي: لأن كنا أول المؤمنين بآيات موسى
في هذه الحال.

{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعَبَائِكَ إِنَّكُم مَّرْعُونَ * فَأَرْسَلْ
فِرْعَوْنَ فِي لَمَدَّائِنِ خَشِيرِينَ * إِنْ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ *
وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَبِيرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّتِ
وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ {
قوله تعالى: { إِنَّكُم مَّرْعُونَ } أي: يتبعكم فرعون وقومه.
قوله تعالى: { إِنْ هَؤُلَاءِ } المعنى: وقال فرعون: إِنْ هَؤُلَاءِ، يعني
بني إسرائيل { لَشِرْذِمَةٌ } قال ابن قتيبة: أي: طائفة. قال
الزجاج: والشِرْذِمَةُ في كلام العرب القليل. قال المفسرون:
وكانوا ستمائة ألف، وإنما استقلهم بالاضافة إلى جنده، وكان
جنده لا يحصى.

قوله تعالى: { وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ } تقول: غاظني الشيء إذا
أغضبك. قال ابن جرير: وذكر أن غيظهم كان لقتل الملائكة من
قتلت من أبكارهم، قال: ويحتمل أن غيظهم لذهابهم بالعواري

التي استعاروها من حليهم، ويحتمل أن يكون لفراقهم إياهم وخروجهم من أرضهم على كره منهم.

قوله تعالى: {وَأَنَا لَجَمِيعُ حَذِرُونَ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: {حَذِرُونَ} بغير ألف، وقرأ الباقون: {حَذِرُونَ} بألف، وهل بينهما فرق؟ فيه قولان.

أحدهما: أن الحاذر المستعد، والحذر: المتيقظ، وجاء في التفسير: أن معنى حاذرين مؤدون، أي: ذوو أداة، وهي السلاح، لأنها أداة الحرب.

والثاني: أنهما لغتان معناهما واحد، قال أبو عبيدة: يقال: رجل حذر وحذر وحاذر. والمقام الكريم: المنزل الحسن. وفي قوله: {كَذَلِكَ} قولان.

أحدهما: كذلك أفعل بمن عصاني، قاله ابن السائب.

والثاني: الأمر كذلك، أي: كما وصفنا، قاله الزجاج.

قوله تعالى: {وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ} وذلك أن الله تعالى ردهم إلى مصر بعد غرق فرعون، وأعطاهم ما كان لفرعون وقومه من المساكن والأموال. وقال ابن جرير الطبري: إنما جعل ديار آل فرعون ملكا لبني إسرائيل، ولم يرددهم إليها، لكنه جعل مساكنهم الشام.

{فَأَتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ} * فَلَمَّا تَرَاءَا لَجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ طَرِبْ بَعْضَكَ لِبَحْرٍ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخِرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {

قوله تعالى: {فَأَتَّبَعُوهُمْ} قال ابن قتيبة: لحقوهم {مُشْرِقِينَ} أي: حين شرفت الشمس، أي: طلعت، يقال: أشرقنا: دخلنا في الشروق، كما يقال: أمسينا وأصبحنا، وقرأ الحسن، وأيوب السخيتاني: {فَأَتَّبَعُوهُمْ} بالتشديد.

قوله تعالى: {فَلَمَّا تَرَاءَا لَجَمْعَانِ} وقرأ أبو رجاء، والنخعي، والأعمش: {تَرَأَى} بكسر الراء وفتح الهمزة، أي: تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه.

قوله تعالى: {فَاقِرَةٌ كَلَّا} أي: لن يدركونا {إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} أي: سيدلني على طريق النجاة.

قوله تعالى: {فَأَنْفَلَقَ} فيه إضمار «فصرب فانفلق»، أي: انشق الماء اثني عشر طريقا، {فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ} أي: كل جزء انفلق منه. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري: {كُلُّ} باللام، {كَالطَّوْدِ} وهو الجبل.

قوله تعالى: { وَأَرْزَلْنَا تَمَّ { الْآخَرِينَ } أَي: قربنا الآخرين من الغرق، وهم اصحاب فرعون. وقال ابو عبيدة: { أرزلقنا } أي: جمعنا. قال الزجاج: وكلا القولين حسن، لأن جمعهم تقريب بعضهم من بعض، وأصل الرلقى في كلام العرب: القربى. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو رجا، والضحاك، وابن يعمر: { أرزلقنا } بقاف، وكذلك قرأوا: { أَصْحَابَ الْجَنَّةِ } [الشعراء 90] بقاف أيضا. قوله تعالى: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً } يعني: في إهلاك فرعون وقومه عبرة لمن بعدهم، { وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ } أي: لم يكن أكثر أهل مصر مؤمنين، إنما آمنت آسية، وخربيل مؤمن آل فرعون، وفنة الماشطة، ومريم - امرأة دلت موسى على عظام يوسف -، هذا قول مقاتل. وما أخللنا به من تفسير كلمات في قصة موسى، فقد سبق بيانها وكذلك ما يفقد ذكره في مكان، فهو إما أن يكون قد سبق، وإما أن يكون ظاهرا فتنبه لهذا.

{ وَ لِّلْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلَ لَهَا تَكَفُّبًا * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ أَلا تَقْدُمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * لَيْذَى خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَ لَيْذَى هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَ لَيْذَى يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَ لَيْذَى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ }

قوله تعالى: { هَلْ يَسْمَعُونَكَ } والمعنى: هل يسمعون دعاءكم. وقرأ سعيد بن جبير، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: { هَلْ يَسْمَعُونَكَ } بضم الياء وكسر الميم، { إِذْ تَدْعُونَ } قال الزجاج: إن شئت بينت الذال، وإن شئت أدغمتها في التاء، وهو أجود في العربية لقرب الذال من التاء.

قوله تعالى: { أَوْ يَنفَعُونَكَ } أي: إن عبدتموهم { أَوْ يَضُرُّونَ } إن لم تعبدوهم؟ فأخبروا عن تقليد آبائهم. قوله تعالى: { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي } فيه وجهان. أحدهما: أن لفظه لفظ الواحد والمراد به الجميع، فالمعنى: فإنهم أعداء لي.

والثاني: فإن كل معبود لكم عدو لي. فإن قيل: ما وجه وصف الجهاد بالعدواة؟ فالجواب: من وجهين. أحدهما: أن معناه: فإنهم عدو لي يوم القيامة إن عبدتهم. والثاني: أنه من المقلوب؛ والمعنى: فاني عدو لهم، لأن من عاديته عاداك، قاله ابن قتيبة. وفي قوله: { إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ } قولان.

أحدهما: أنه استثناء من الجنس، لأنه علم انهم كانوا يعبدون الله مع آلهتهم، قاله ابن زيد.

والثاني: أنه من غير الجنس، والمعنى: لكن رب العالمين ليس كذلك، قاله أكثر النحويين.

قوله تعالى: { لِّذِي خَلَقْنِي فَهُوَ يَهْدِينِ } أي: إلى الرشيد، لا ما تعبدون، { وَ لِّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ } أي: هو رازقي الطعام والشراب.

فان قيل: لم قال: مرضت ولم يقل أمرضني؟

فالجواب: أنه أراد الثناء على ربه، فأضاف إليه الخير المحض، لأنه لو قال: أمرضني لعد قومه ذلك عيباً، فاستعمل حسن الادب، ونظيره قصة الخضر حين قال في العيب: { فَأَرَدْتُ } [الكهف 79] وفي الخير المحض: { فَأَرَادَ رَبُّكَ } [الكهف 82].

فان قيل: فهذا يرده قوله: { وَ لِّذِي يُمِيتُنِي }.

فالجواب: أن القوم كانوا لا ينكرون الموت، وإنما يجعلون له سبباً سوى تقدير الله عز وجل، فأضافه إبراهيم إلى الله عز وجل، وقوله { ثُمَّ يُحْيِي } يعني للبعث: وهو أمر لا يقرون به، وإنما قاله استدلالاً عليهم، والمعنى: أن ما وافقتموني عليه موجب لصحة قولي فيما خالفتموني فيه.

قوله تعالى: { وَ لِّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي } يعني: ما

يجري على مثلي من الزلل، والمفسرون يقولون: إنما عني

الكلمات الثلاث التي ذكرناها في [الأنبياء 63] { يَوْمَ الدِّينِ }

يعني: يوم الحشر والحساب، وهذا احتجاج على قومه أنه لا تصلح

الإلهية إلا لمن فعل هذه الأفعال.

{ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَ أَلْجِفْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَ جْعَلْ لِي لِسَاناً صِدْقاً

فِي الْآخِرِينَ * وَ جْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَ عَفِّرْ لِي إِنَّهُ كَانَ

مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ

* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ }

قوله تعالى: { هَبْ لِي حُكْماً } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: النبوة، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: اللب، قاله عكرمة.

والثالث: الفهم والعلم، قاله مقاتل، وقد بينا قوله: { وَ أَلْجِفْنِي

بِالصَّالِحِينَ } في سورة [يوسف 101] وبيننا معنى { لِسَاناً صِدْقاً }

في [مريم 50] والمراد بالآخرين: الذين يأتون بعده إلى يوم

القيامة.

قوله تعالى: { وَ عَفِّرْ لِي } قال الحسن: بلغني أن أمه كانت

مسلمة على دينه، فلذلك لم يذكرها.

فان قيل: فقد قال: { عَفِّرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ } [إبراهيم 41].

قيل: أكثر الذكر إنما جرى لأبيه، فيجوز أن يسأل الغفران لأمه، وهي مؤمنة، فأما أبوه فلا شك في كفره، وقد بينا سبب استغفاره لأبيه في [براءة 113]، وذكرنا معنى الخزي في [آل عمران 192].

قوله تعالى: {يَوْمَ يُنْعَتُونَ} يعني: الخلائق.

قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} فيه ستة أقوال. أحدها: سليم من الشرك، قاله الحسن، وابن زيد.

والثاني: سليم من الشك، قاله مجاهد.

والثالث: سليم، أي: صحيح، وهو قلب المؤمن، لان قلب الكافر والمنافق مريض، قاله سعيد بن المسيب.

والرابع: أن السليم في اللغة: اللديغ، فالمعنى: كاللديغ من خوف الله تعالى، قاله الجنيد.

والخامس: سليم من آفات المال والبنين، قاله الحسين بن الفضل.

والسادس: سليم من البدعة، مطمئن على السنة، حكاه الثعلبي.

{وَأَزَلَيْتَ لِحِجَّةِ الْمُتَّقِينَ * وَبَرَزْتَ لِحِجِّمِ الْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ * فَكَبَّيْئُوا فِيهَا هُمْ وَ لِعَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ لَعَلِّمِينَ * وَمَا أَصْلَابًا إِلَّا لُمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتُحَدَّثُ مِنْ لِمُؤْمِنِينَ * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }

قوله تعالى: {وَأَزَلَيْتَ لِحِجَّةِ الْمُتَّقِينَ} أي: قربت إليهم حتى

نظروا إليها، {وَبَرَزْتَ لِحِجِّمِ} أي: أظهرت {لِلْغَاوِينَ} وهم

الضالون، {وَقِيلَ لَهُمْ} على وجه التوبيخ {آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ} أي: يمنعونكم من العذاب، أو

يمنتعون منه.

قوله تعالى: {فَكَبَّيْئُوا} قال السدي: هم المشركون. قال ابن

قتيبة: ألقوا على رؤوسهم، وأصل الحرف «كَبَّيْئُوا» من قولك:

كَبَّيْتُ الْإِنَاءَ، فأبدل من الباء الوسطى كافا، استثقالا لاجتماع ثلاث

باءات، كما قالوا: «كمكموا» من «الكَمَّة» والأصل: «كمموا».

وقال الزجاج: معناه: طرح بعضهم على بعض، وحقيقة ذلك في

اللغة تكرير الانكباب، كأنه إذا ألقى ينكب مرة بعد مرة، حتى

يستقر فيها. وفي الغاوين ثلاثة أقوال.

أحدها: المشركون، قاله ابن عباس.

والثاني: الشياطين، قاله قتادة، ومقاتل.

والثالث: لآلهة، قاله السدي. { وَجُنُودُ إِبْلِيسَ } أتباعه من الجن والإنس. { قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ } يعني: هم وآلهتهم، { تَأْتِيهِمْ إِنْ كُنَّا } قال الفراء: لقد كنا. وقال الزجاج: ما كنا إلا في ضلال. قوله تعالى: { إِذْ نُسَوِّكُمْ } أي: نعدلكم بالله في العبادة، { وَمَا أَضَلُّنَا إِلَّا لِمُجْرِمُونَ } فيهم قولان.

أحدهما: الشياطين. والثاني: أولوهم الذين اقتدوا بهم، قال عكرمة: إبليس وابن آدم القاتل.

قوله تعالى: { فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ } هذا قولهم إذا شفع الأنبياء والملائكة والمؤمنون، وروى جابر ابن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل يقول في الجنة: ما فعل صديقي فلان؟ وصديقه في الجحيم، فيقول الله عز وجل: أخرجوا له صديقه إلى الجنة، فيقول من بقي في النار { فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ } ولا صديق حميم». والحميم: القريب الذي توده ويودك والمعنى: مالنا من ذي قرابة يهمله أمرنا، { فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً } أي: رجعة إلى الدنيا { فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }. لتحل لنا الشفاعة كما حلت للموحدين.

{ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ لِمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ * لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } قوله تعالى: { كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ } قال الزجاج: القوم مذكرون؛ والمعنى: كذبت جماعة قوم نوح.

قوله تعالى: { إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ } كانت الأخوة من جهة النسب بينهم لا من جهة الدين، { أَلَا تَتَّقُونَ } عذاب الله بتوحيده وطاعته، { إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } على الرسالة فيما بيني وبين ربكم. { وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ } أي: على الدعاء إلى التوحيد.

{ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَتَبَعَكَ } لَأَزْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ لِمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ لَمُزْجُومِينَ }

قوله تعالى: { وَتَبَعَكَ } لَأَزْذَلُونَ { وقرأ يعقوب بفتح الهمزة وتسكين التاء وضم العين: { وَتَبَعَكَ } لَأَزْذَلُونَ } وفيهم ثلاثة أقوال.

أحدها: الحاقة، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثاني: الحاقة والأساكفة، قاله عكرمة.

والثالث: المساكين الذين ليس لهم مال ولا عز، قاله عطاء. وهذا جهل منهم لأن الصناعات لا تضر في باب الديانات.

قوله تعالى: { وَمَا عَلَّمِي مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } أي: لم أعلم أعمالهم وصنائعهم، ولم أكلف ذلك، إنما كلفت أن أدعوهم، { إِنَّ حِسَابَهُمْ } فيما يعملون { إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ } بذلك ما عبتموهم في صنائعهم، { وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ } أي: ما أنا بالذي لا أقبل إيمانهم لزعمكم أنهم الأردلون.

وفي قوله: { لَتَكُونَنَّ مِنْ لَمُزَّجُومِينَ } ثلاثة أقوال. أحدها: من المشتومين، قاله الضحاك.

والثاني: من المضروبين بالحجارة، قاله قتادة. والثالث: من المقتولين بالرحم، قاله مقاتل.

{ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَفُتِحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ لَمَسْخُونِ * ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ لَبْقَيْنِ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }

قوله تعالى: { وَفُتِحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ } أي: اقض بيني وبينهم قضاء، يعني: بالعذاب { وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَعِيَ } من ذلك العذاب. والفلك قد تقدم بيانه. [البقرة 164] والمشحون: المملوء، يقال: شحنت الإناء، إذا ملأته، وكانت سفينة نوح قد ملئت من الناس والطير والحيوان كله، { ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ } بعد نجاه نوح ومن معه { لَبْقَيْنِ }.

{ كَذَّبَتْ عَادٌ لِّمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ إِلَّا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاقْبُوا إِلَيَّ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ * لَعَلِّمِينَ * أَتَتَّبِعُونَ كُلَّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاقْبُوا إِلَيَّ وَأَطِيعُوا * وَاقْبُوا إِلَيَّ أَمَّا تَعْلَمُونَ * أَمَّا تَعْلَمُونَ * أَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * وَجَنَّتْ وَعُيُونٍ * }

قوله تعالى: { أَتَتَّبِعُونَ كُلَّ رِيعٍ } وقرأ عاصم الجحدري، وأبو حيو، وابن أبي عبلة: { كُلَّ رِيعٍ } بفتح الراء. قال الفراء: هما لغتان. ثم فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه المكان المرتفع، روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: بكل شرف. قال الزجاج: هو في اللغة: الموضع المرتفع من الأرض.

والثاني: أنه الطريق، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثالث: الفج بين الجبلين، قاله مجاهد. والآية: العلامة.

وفيما أراد بهذا البناء ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه أراد: تبثون ما لا تسكنون، رواه عطاء عن ابن عباس، والمعنى: أنه جعل بناءهم ما يستغنون عنه عبثا.

والثاني: بروج الحمام، قاله سعيد بن جبیر، ومجاهد.

والثالث: أنهم كانوا يبنون في المواضع المرتفعة، ليشرفوا على المارة، فيسخرها منهم، ويعبثوا بهم، وهو معنى قول الضحاك. قوله تعالى: { وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: قصور مشيدة، قاله مجاهد.

والثاني: مصانع الماء تحت الأرض، قاله قتادة.

والثالث: بروج الحمام، قاله السدي.

وفي قوله { لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ } قولان.

أحدهما: كأنكم تخلدون، قاله ابن عباس، وأبو مالك.

والثاني: كيما تخلدوا، قاله الفراء، وابن قتيبة، وقرأ عكرمة،

والنخعي، وقتادة، وابن يعمر: { تَخْلُدُونَ } برفع التاء وتسكين

الهاء وفتح اللام مخففة. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو حصين:

{ تَخْلُدُونَ } بفتح الخاء وتشديد اللام.

قوله تعالى: { وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ } المعنى:

إذا ضربتم ضربتم بالسياط ضرب الجبارين، وإذا عاقبتم قتلتم،

وإنما أنكر عليهم ذلك لأنه صدر عن ظلم، إذ لو ضربوا بالسيف أو

بالسوط في حق مالموا.

وفي قوله: { عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } قولان.

أحدهما: ما عذبوا به في الدنيا.

والثاني: عذاب جهنم.

{ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنْ لُوعِظِينَ * إِنَّ هَذَا إِلَّا

خُلُقٌ لِّأَوَّلِينَ * وَمَا تَخْنُ بِمُعَذِّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي

لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاقْبَلُوا إِلَهَ اللَّهِ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ

أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ }

قوله تعالى: { إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ لِّأَوَّلِينَ } قرأ ابن كثير، وأبو عمرو،

والكسائي: { خُلُقٌ } بفتح الخاء وتسكين اللام. قال ابن قتيبة:

أرادوا اختلافهم وكذبهم، يقال: خلقت الحديث واختلقته أي

افتعلته. قال الفراء: والعرب تقول للخرافات: أحاديث الخلق.

وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة، وخلف، ونافع: { خُلُقٌ لِّأَوَّلِينَ }

بضم الخاء واللام. وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وعاصم الجحدري:

{ خُلِقَ } برفع الخاء وتسكين اللام؛ والمعنى: عادتهم وشأنهم،

قال قتادة: قالوا له: هكذا كان الناس يعيشون ما عاشوا ثم

يموتون، ولا بعث لهم ولا حساب.

قوله تعالى: { وَمَا تَخْنُ بِمُعَذِّبِينَ } أي: على ما نفعله في الدنيا.

{ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ

مُلْتَعًا هَٰضِمٍ * وَتَنَجِّثُونَ مِنْ لِجَالٍ بُيُوتًا فَرِهِينَ * فَاقْبَلُوا إِلَهَ

وَأَطِيعُونَ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ * لَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ {

قوله تعالى: { أَتُتْرَكُونَ فِيمَا هَاهُنَا } أي: فيما أعطاكم الله في الدنيا { ءَامِنِينَ } من الموت والعذاب.
قوله تعالى: { طَلَعَهَا هَظِيمٌ } الطلع: الثمر وفي الهضم سبعة أقوال.

أحدها: أنه الذي قد اينع وبلغ، رواه العوفي عن ابن عباس.
والثاني: أنه الذي يتهشم تهشما، قاله مجاهد.
والثالث: أنه الذي ليس له نوى، قاله الحسن.
والرابع: أنه المذئب من الرطب، قاله سعيد بن جبير.
والخامس: اللين، قاله قتادة، والفراء.
والسادس: أنه الحمل الكثير، الذي يركب بعضه بعضا، قاله الضحاك.

والسابع: أنه الطلع قبل أن ينشق عنه القشر وينفتح، يريد أنه منضم مكتنز ومنه قيل: رجل أهضم الكشحين، إذا كان منضمهما، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: { وَتَنْجِثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا قَرِهِينَ } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: { قَرِهِينَ }. وقرأ الباقر: { قَرِهِينَ } بالف.
قال ابن قتيبة: قَرِهِينَ أشرين بطرين، ويقال: الهاء فيه مبدلة من حاء أي: فرحين، والفرح قد يكون السرور وقد يكون الأشر، ومنه قوله: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرَجِينَ } [القصص: 76] أي: الأشرين، ومن قرأ: { قَرِهِينَ } فهي لغة أخرى، يقال: فره وفاره كما يقال: فرح وفارج، ويقال: { قَرِهِينَ } أي جاذقين، قال عكرمة: جاذقين بنحتها. قوله تعالى: { وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ } قال ابن عباس: يعني المشركين، وقال مقاتل: هم التسعة الذين عقروا الناقة.

{ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ * مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ لِمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالطَّيْعُونَ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ }

قوله تعالى: { إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ } قال الزجاج: أي ممن له سحر والسحر الرئة والمعنى: أنت بشر مثلنا. وجائز أن يكون من المفعلين من السحر، والمعنى: ممن قد سحر مرة بعد مرة.

قوله تعالى: {لَهَا شِرْبٌ} أي: حظ من الماء. قال ابن عباس: لها شرب معروف، لا تحضروه معها، ولكم شرب، لا تحضر معكم، فكانت إذا كان يومهم حضروا الماء فاقسموه، وإذا كان يومها شربت الماء كله. وقال قتادة: كانت إذا كان يوم شربها شربت ماءهم أول النهار وسقتهم اللبن آخر النهار. وقرأ أبي بن كعب وأبو المتوكل وأبو الجوزاء وابن أبي عبة: {لَهَا شِرْبٌ} بضم الشين. قوله تعالى: {فَاصْبَحُوا نَدِمْينَ} قال ابن عباس: ندموا حين رأوا العذاب على عقربها، وعذابهم كان بالصيحة.

{أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ} * {وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ} * {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ} * {قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ} * {قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ} * {لَقَالِينَ} * {رَبِّ نَجْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ} * {فَتَجَنَّبَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ} * {إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَيْرِينَ} * {ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ} * {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ} * {إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} * {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}

قوله تعالى: {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ} وهو جمع ذكر {مِّن لِّعَلَمِينَ} أي: من بني آدم {وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ} قال الزجاج: وقرأ ابن مسعود: {مَا} * {إِصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ} يعني به الفروج. وقال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال.

قوله تعالى: {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ} أي: ظالمون معتدون {قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَ يَلُوطُ لُوطٍ} أي: لئن لم تسكت عن نهينا، لتكونن من المخرجين من بلدنا، {قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ} يعني: إتيان الرجال من القالين قال ابن قتيبة: أي من المبغضين، يقال: قليت الرجل: إذا أبغضته.

قوله تعالى: {رَبِّ نَجْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ} أي: من عقوبة عملهم. {فَتَجَنَّبَهُ وَأَهْلَهُ} وقد ذكرناهم في [هود: 80] {إِلَّا عَجُوزاً} يعني: امرأته {فِي الْغَيْرِينَ} أي الباقيين في العذاب {ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ} أهلكتناهم بالخسف والحصب، وهو قوله: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا} يعني الحجارة.

{كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ} * {لُمُزْسَلِينَ} * {إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ} * {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} * {فَتَقُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُونَ} * {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ لَعَلَمِينَ}

قوله تعالى: {كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ} قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر {أَصْحَابُ} هاهنا، وفي [ص: 13] بغير همز والتاء مفتوحة. وقرأ الباقيون: {وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ} بالهمز فيهما والألف. وقد سبق هذا الحرف [الحجر: 78] {إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ} إن قيل: لم لم يقل أخوهم كما قال في الأعراف، فالجواب أن شعيبا لم يكن

من نسل أصحاب الأيكة، فلذلك لم يقل أخوهم، وإنما أرسل إليهم بعد أن أرسل إلى مدين، وهو من نسل مدين، فلذلك قال هناك: أخوهم، هذا قول مقاتل بن سليمان. وقد ذكرنا في سورة [هود: 94] عن محمد بن كعب القرظي. أن أهل مدين عذبوا بعذاب الظلة، فإن كانوا غير أصحاب الأيكة كما زعم مقاتل، فقد تساوا في العذاب، وإن كان أصحاب مدين هم أصحاب الأيكة، وهو مذهب ابن جرير الطبري كان حذف ذكر الأخ تخفيفاً والله أعلم.

{أَوْفُوا لِكَيْلٍ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِقِسْطِاسٍ مُسْتَقِيمٍ * وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَتَقُوا لِذِي خَلْقِكُمْ وَ لِحِجَلَةٍ {الْأُولَى}

قوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ} أي من الناقصين للكيل، يقال: أخسرت الكيل والوزن: إذا نقصته، وقد ذكرنا القسطاس في بني إسرائيل.

قوله تعالى: {وَتَقُوا لِذِي خَلْقِكُمْ وَ لِحِجَلَةٍ} أي: وخلق الجبل. وقيل: المعنى: واذكروا ما نزل بالجبل {الْأُولَى} وقرا الحسن وأبو مجلز وأبو رجاء وابن يعمر وابن أبي عبيدة: {وَلِحِجَلَةٍ} برفع الجيم والباء جميعا مشددة اللام. وقرا أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك وعاصم الجحدري بكسر الجيم وتسكين الباء وتخفيف اللام. قال ابن قتيبة: الجبل: الخلق يقال جُبِلَ فلان على كذا، أي خلق. قال الشاعر:

والموت أعظم حادث مما يمر على الجبل

{قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطُنُّكَ لَمِنْ الْكَذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ أَعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }

قوله تعالى: {فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا} قال ابن قتيبة: أي: قطعة {مِّنَ السَّمَاءِ}، و«كسف» جمع «كسفة» كما يقال: قِطع وقِطعة.

قوله تعالى: {رَبِّ أَعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ} أي: من نقصان الكيل والميزان، والمعنى: إنه يجازيكم إن شاء وليس عذابكم بيدي {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ} قال المفسرون: بعث الله عليهم حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هربا إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة أظلتهم من الشمس، فوجدوا لها بردا ونادى بعضهم بعضا، حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسل الله عليهم نارا، فكان ذلك من اعظم العذاب. والظلة: السحابة التي أظلتهم.

{وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ لَعَلِّمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ
لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ
* أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ * وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ
عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ }

قوله تعالى: {وَأَنَّهُ} يعني القرآن {لَنَزِيلُ رَبِّ لَعَلِّمِينَ * نَزَلَ بِهِ
الرُّوحُ الْأَمِينُ} قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم:
{نَزَلَ بِهِ} خفيفاً {الرُّوحُ الْأَمِينُ} بالرفع. وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي وأبو بكر عن عاصم {نَزَلَ} مشددة الزاي {الرُّوحُ
الْأَمِينُ} بالنصب والمراد بالروح الأمين جبريل. وهو أمين على
وحي الله تعالى إلى أنبيائه {عَلَى قَلْبِكَ} قال الزجاج: معناه:
نزل عليك فوعاه قلبك، فثبت فلا تنساه أبداً.

قوله تعالى: {لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ} أي ممن أُنذر بآيات الله
المكذبين، {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} قال ابن عباس: بلسان قريش
ليفهموا ما فيه.

قوله تعالى: {وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ} وقرأ الاعمش {زُبُرِ}
بتسكين الباء وفي هاء الكناية قولان.
أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن، والمعنى: وإن ذكر القرآن وخبره،
هذا قول الأكثرين.

والثاني: أنها تعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله
مقاتل والزبر الكتب.

قوله تعالى: {أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ}
قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: {أَوْ لَمْ
يَكُنْ لَهُمْ} بالياء {آيَةٌ} بالنصب وقرأ ابن عامر وابن أبي عمير
{تَكُنْ} بالتاء {آيَةٌ} بالرفع. وقرأ أبو عمران الجوني وقتادة
{تَكُنْ} بالتاء {آيَةٌ} بالنصب. قال الزجاج: إذا قلت: {يَكُنْ}
بالياء فالاختيار نصب {آيَةٌ} ويكون «أن» اسم كان ويكون «آية»
خبر كان، المعنى: أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل أن
النبي صلى الله عليه وسلم حق، وأن نبوته حق، {آيَةٌ} أي:
علامة موضحة. لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل وجدوا
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم مكتوباً عندهم في التوراة
والإنجيل.

ومن قرأ: {أَوْ لَمْ تَكُنْ} بالتاء {آيَةٌ} جعل «آية» هي الاسم، وأن
يعلمه خبر تكن. ويجوز أيضاً {أَوْ لَمْ تَكُنْ} بالتاء {آيَةٌ} بالنصب
كقوله {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ} [الأنعام: 23] وقرأ الشعبي
والضحاك وعاصم الجحدري: أن تعلمه بالتاء.
قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة،
يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن هذا لزمانه،
وإننا لنجد في التوراة صفته، فكان ذلك آية لهم على صدقه.

قوله تعالى: { عَلَى بَعْضٍ } قال الزجاج: هو جمع أعجم، والأنثى عجماء، والأعجم الذي لا يفصح، وكذلك الأعجمي، فأما العجمي فالذي من جنس العجم، أفصح أو لم يفصح.
قوله تعالى: { عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ } أي لو قرأه عليهم أعجمي، لقالوا لانفقه هذا فلم يؤمنوا.

**{ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا
لِعَذَابِ الْأَلِيمِ * فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ
مُنْظَرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ
جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ * وَمَا
أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ * ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ }**
قوله تعالى: { كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ } قد شرحناه في [الحجر: 12]
والمجرمون هاهنا المشركون.

قوله تعالى: { لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ } قال الفراء: المعنى: كي لا يؤمنوا.
فأما العذاب الأليم فهو عند الموت. { فَيَقُولُوا } عند نزول العذاب
{ هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ } أي: مؤخرون لنؤمن ونصدق. قال مقاتل:
فلما أوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذاب. قالوا:
فمتى هو؟ تكذبا به. فقال الله تعالى: { أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ }.
قوله تعالى: { أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ } قال عكرمة عمر الدنيا.
قوله تعالى: { ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ } أي: من العذاب { وَمَا
أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ } بالعذاب في الدنيا { إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ } يعني:
رسلا تنذرهم العذاب { ذِكْرَى } أي موعظة وتذكيرا.

**{ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ
عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُولُونَ }**

قوله تعالى: { وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ } سبب نزولها أن قريشا
قالت: إنما تجيء بالقرآن الشياطين، فتلقه على لسان محمد،
فنزلت هذه الآية قاله مقاتل.

قوله تعالى: { وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ } أي: أن ينزلوا بالقرآن، { وَمَا
يَسْتَطِيعُونَ } أن يأتوا به من السماء، لأنهم قد حيل بينهم وبين
السمع بالملائكة والشهب. { إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ } أي: عن الاستماع
للوحي من السماء { لَمْعَرُولُونَ } فكيف ينزلون به؟ وقال عطاء:
عن سماع القرآن لمحجوبون، لأنهم يرحمون بالنجوم.

**{ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ * وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ * وَخُفِضَ جَنَاحُكَ لِمَنِ يَبْعَثُكِ مِنْهُ * فَأَنْ
عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّكُمْ لَعَزِيزٌ * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ *
لِذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلَبُكَ فِي السَّجْدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ }**

قوله تعالى: { فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ } قال ابن عباس: يحذر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق علي ولو اتخذت من دوني إلها لعذبتك.

قوله تعالى: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } فقال: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أعني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أعني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أعني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أعني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سأليني ما شئت ما أعني عنك من الله شيئاً» وفي بعض الألفاظ «سلوني من مالي ما شئتم» وفي لفظ «غير أن لكم رحماً سألها ببلالها» ومعنى قوله: { عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } رهطك الأدين { فَإِنْ عَصَوْكَ } يعني العشيرة { فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ } من الكفر { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ } أي ثق به وفوض أمرك إليه، فهو عزيز في نعمته، رحيم لم يعجل بالعقوبة. وقرا نافع وابن عامر { فَتَوَكَّلْ } بالفاء. وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام.

{ لَذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: حين تقوم إلى الصلاة، قاله ابن عباس ومقاتل.

والثاني: حين تقوم من مقامك، قاله أبو الجوزاء.

والثالث: حين تخلو، قاله الحسن.

قوله تعالى: { وَتَقَلِّبَكَ } أي: ونرى قلبك { فِي السَّجِدِينَ } وفيه ثلاثة أقوال.

أحدها: وتقلبك في أصلاب الأنبياء حتى أخرجك، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثاني: وتقلبك في الركوع والسجود والقيام مع المصلين في الجماعة، والمعنى: يراك وحدك ويراك في الجماعة، وهذا قول الأكثرين منهم قتادة.

والثالث: وتصرفك في ذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين، قاله الحسن.

{ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ }

قوله تعالى: { هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ } هذا رد عليهم حين قالوا: إنما يأتيه بالقرآن الشياطين، فأما الأفاك فهو الكذاب، والأثيم: الفاجر قال قتادة وهم الكهنة.

قوله تعالى: { يُلْقُونَ السَّمْعَ } أي يلقون ما سمعوه من السماء إلى الكهنة.

وفي قوله: { وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ } قولان.

أحدهما: أنهم الشياطين.

والثاني: الكهنة.

{وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ *
وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا لَذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ }

قوله تعالى: {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} وقرا نافع {يَتَّبِعُهُمُ} بسكون التاء، والوجهان حسان، يقال: تَبَّعتْ واتَّبعت مثل حقرت واحتقرت. وروى العوفي عن ابن عباس قال: كان رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تهاجيا، فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه، فقال الله: {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ}. وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: هم شعراء المشركين، قال مقاتل: منهم عبد الله بن الزبير، وأبو سفيان بن حرب وهبيرة ابن أبي وهب المخزومي في آخرين، قالوا: نحن نقول مثل قول محمد، وقالوا الشعر، فاجتمع إليهم غواة من قومهم، يستمعون أشعارهم ويروون عنهم. وفي الغاوين ثلاثة أقوال.

أحدها: الشياطين، قاله مجاهد وقتادة.

والثاني: السفهاء، قاله الضحاك.

والثالث: المشركون، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ} هذا مثل بمن يهيم في الأودية، والمعنى: أنهم يأخذون في كل فن من لغو وكذب وغير ذلك، فيمدحون بباطل، ويذمون بباطل، ويقولون فعلنا ولم يفعلوا. قوله تعالى: {إِلَّا لَذِينَ ءَامَنُوا} قال ابن عباس: لما نزل ذم الشعراء، جاء كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت، فقالوا: يا رسول الله أنزل الله هذا، وهو يعلم أنا شعراء، فنزلت هذه الآية، قال المفسرون: وهذا الاستثناء لشعراء المسلمين الذين مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذموا من هجاء. {وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} أي: لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله، ولم يجعلوا الشعر همهم، وقال ابن زيد: وذكروا الله في شعرهم، وقيل: المراد بالذكر الشعر في طاعة الله عز وجل. قوله تعالى: {وَانْتَصَرُوا} أي من المشركين {مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا} لأن المشركين بدؤوا بالهجاء. ثم أوعد شعراء المشركين فقال: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا} أي:

أشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين {أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} قال الزجاج: {أَيُّ} منصوبة بقوله ينقلبون لا بقوله سيعلم، لأن أيا وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها، ومعنى الكلام إنهم ينقلبون إلى نار يخلدون فيها.

وقرأ ابن مسعود ومجاهد عن ابن عباس وأبو المتوكل وأبو رجاء
{أي} بتاءين مفتوحتين وبقافين على كل واحدة منهما نقطتان
وتشديد اللام فيهما. وقرأ أبي كعب وابن عباس وأبو العالية وأبو
مجلز وأبو عمران الجوني وعاصم الجحدري {أي} بالفاء فيهما
وبنونين ساكنين وبتاءين، وكان شريح يقول: {سيعلم الظالمون
حظ من نقصوا} إن الظالم ينتظر العقاب، وإن المظلوم ينتظر
النصر.